المُقَدِّمَة

رغم ظهور الكثير من الدراسات العلمية والتربوية عن القيم وعلاقاتها المتعددة إلا أن القيم وعلاقتها بالعقيدة ومن ثم السلوك جانب بحاجة إلى مزيد من البحث بعد أن تراوحت هذه المفاهيم بين التصاعد والانكفاء ــ ما بين المواجهة والإقصاء ــ مابين الحقيقة والتزوير، ما بين النضال والمعايشة !! ونقف عند نوعية السؤال الذي ينبغي أن يطرح، وهل يطرح سؤالاً (مسئولا) عن تنفيذ الحقيقة ، وعن إثبات المعلومة الصحيحة، وعن صياغة إجابات تحفل بالثوابت والوضوح ونبذ الخوف والتبعية ؟

أم يطرح سؤال (متسائلا) قد يحمل التشكيك ، وقد يفتش عن أجوبة بعيدا، مطوحا بالمنطق والصواب؟

إن هذا البحث محاولة تستهدف الإجابة على غرضين أولهما: النظر بحذر وروية إلى الأحكام المبعثرة والسطحية التي انزلق إليها بعض الباحثين ممن كان همهم تلمس الأشباه والمظاهر الخارجية والسطحية بين الدوائر الفكرية الغربية المختلفة والخروج من ذلك محقونين بكل وسائل التأثر وهي كتابات برغم ما فيها من جدية ، إلا أنها تنطوي على مصادرة وفصام، كما أن أصحابها لسبب أو آخر كانوا ينطلقون من هوى غربي بكل ضغوطاته وصار من المستغرب لدى النخب المروجة للثقافة الأجنبية والمنفذة لتطلعاته أن يسمحوا بالتحاكم إلى القيم الشرعية الإسلامية بعد اتهامها بالغموض وأنها فضفاضة.

فهم ينطلقون من أولوية مسلمة عندهم هي : إنكار قدرة العقل العربي الإسلامي واستقلاله بالإنتاج ، وينتهون إلى تعميم مفاده : أن كل تقدم لابد أن يكون أثر أو نتيجة لجانب أو آخر من جوانب الفكر الغربي.

ثانيهما: تسليط الضوء على جانب هام للتأكيد على أن دائرة القيم في الإسلام رغم غربتها النسبية عن واقع المسلمين فستظل على الدوام متصلة بجوانب الإسلام الأساسية بوشائج قربى ، ومحاولات التوفيق بين الأصول الذاتية فيها والعناصر المستوردة في ضوء المؤثرات الأجنبية هو منطلق خاطئ في الدراسة.

ومن هنا فغايات ثلاث كل منها على حيالها كافية لتحفزني على الاهتمام بالقيم وعلاقتها بالعقيدة والسلوك في ظل القيم المستجدة والتي تفرضها التحولات العالمية المعاصرة:

1. فعندما يكثر الكلام على قضية ما ويشتد ، فليعلم أن في القضية إشكالا ما، إما لها أو عليها وقد كثر الكلام حول القيم وعلاقة ذلك بالعقيدة والأخلاق بلغة جديدة تفرضها التحولات التي نعيشها ، حوارات تبتدئ وتتواصل دوما لتزج بنا في هواجس عديدة، وفوق أسئلة مدببة تخلق زحاما عجيبا من المواقف والأضداد ، وزحام أكثر كثافة في استرجاع جانب من أصالتنا المليء بالقيم والتجارب.
2. أن موضوع القيم والعقيدة هو خاصية مشتركة بين الجميع ، خاصية موحدة على مستوى البحث والكلام والدرس ، يدعونا أن نعيش معه الأهمية ، مع هذا الزحام الذي يتوافد على تفكيرنا ونفسياتنا وتأملاتنا لنعود ونتساءل ، هل هذا سبب يدفعني للشروع في الكتابة ، ربما كان هذا السبب واقعا منطقيا للخوف من السباحة في بحر يبدو أحيانا لا ساحل له ، لكن يخايلني سؤال آخر، ما لبث أن دفعني للشروع في الكتابة وهو سؤال يستظل بخاطر ملح ، بل بحاجة ملحة ، فالقضية خطيرة وخطورتها تكمن فيما يحدق بها ، حين أضاف الغرب لها نعوتا وأوصافا يراد لها أن تكون حقيقية ، وأن تتجذر بقوة في الوعي واللاوعي ، ويُتبع ذلك كله بتحليلات ودراسات وأبحاث بأرقام وقياسات معززة ، ومزكاة من

مناهج العلوم الطبيعية والإنسانية ... هذا كله لتصبح المجتمعات على استئناس بما يقدم لها وعليها، لقد زال أمامي التردد، بل لقد جذب الإصغاء لاستجلاء ما يدور حول كونه حوارات أم صراع قيم ؟؟

إنه صراع قيم بين تيارين ، يدعو أحدهما للانخراط في العالمية الثقافية والاقتصادية بعيدا عن الضوابط الدينية ، ويدعو الآخر إلى التمسك بأصول الهوية الإسلامية والانفتاح الموزون على التجارب العالمية الايجابية ، وقد كان لهذين التيارين آثار في المجتمع المسلم في كل مجالات الحياة وعلى رأسها الحياة الثقافية ، وقد رصدتها كتابات ودراسات وتحليلات ، تتبعت مختلف مداخل التأثير في هوية الشعوب الإسلامية والتي ركزت على زعزعة القيم والموجهة إلى قناعات الأجيال وتصوراتهم وأفكارهم على المدى البعيد، وهناك الكثير من المعطيات والشهادات والوثائق التي تركز على ملف العلم والإعلام بالذات بدءا بما يسمى بالإصلاح، وتغير المناهج، ونشر البعثات، ودعم المراكز الثقافية الغربية أو المتغربة وانتهاء بما نلمسه و نعيشه من خلال واقع يتغذى جرعات هي في واقعنا تجريع حتى تعب الجيل من هذا التجريع .. وتعب من هذا الصلب اليومي على تزوير الأصل ، ثم تشويهه ، تعب من هذا العطش الروحي ، لينعم بحريته الخاصة، إنه واقع متضخم يكبله ويشده إليه عنوة ، إنها مؤشرات لها أبعاد المتغيرات في خروج المجتمع إلى حقبة جديدة ، لكن التعامل معها هو المشكلة !! لقد تضاعف الذهول فمن يقدر الآن على شحن الأجيال باليقظة ؟

إنها أمور مترابطة، بكل ما فيها من سرعة وسباق مع الزمن، وفقدان تدريجي في الأصالة، وفراغ في المضمون، وفي الهدف.

وحتى لا يكون الكلام عبارة عن سطور من الإنفعالات لابد أن نحدد منطلقاتنا من خلال معطى هام : وهو فهم الوجود الإسلامي الحالي وموقعه بين العالم الأوروبي

والغربي فهما صحيحا ، فالأصل هو قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ (1) فنحن وجدنا لنكون شهداء على الناس وفي ضوء ذلك تنطلق منظومة القيم الإسلامية بتأثيراتها:

المنطلق الأول: يبدأ من التحولات العالمية المعاصرة فهي ليست كلها شر ، فهناك ما لا يتعارض مع الإسلام ، وما يتعارض فلا بد أن يؤصل عقديا بعد أن يرجع فيه للعلماء والفقهاء مع فهم جيد للوجود الإسلامي وسط التزعم الأوروبي الغربي .

المنطلق الثاني: هو عدم اعتبار أن هناك مشكلة قائمة بيننا وبين القوانين الغربية أوالعلمانية ، إذ مشكلتنا الأساسية هي رؤيتنا للإسلام وفهمه وعرضه ، وفي وجهة نظر الناس إليه وأهله.

المنطلق الثالث: يجب أن لا نخلط بين القيم الإسلامية والثقافات العربية والغربية، فلا تهاون بشأن القيم، لكن نستطيع أن نستفيد من الثقافات ما نستسيغه ولا يتعارض مع القيم الإسلامية ، وهذا من الإسلام فالحكمة ضالة المؤمن .

وبعد.. فأنا لا أزعم أن كل ما ذكر في هذا البحث هو من الطارف المستجد ، لكن أهميته تنبع من إثارة الإهتمام وتحفيز التساؤل ومس طيوف الأفكار العميقة لدى القارئ ، إني لأرجو أن يكون لهذا البحث سهم في هذا .

اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا ، وتجمع بها أمرنا ، وتلم بها شعثنا، وتحفظ بها غائبنا ، وترفع بها شاهدنا ، وتبيض بها وجوهنا ، وتزكي بها أعمالنا ، وتلهمنا بها رشدنا ، وترد بها ألفتنا ، وتعصمنا بها من كل سوء ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(1) سورة البقرة آية 143.

أحلام محمد سعيد باحمدان
أستاذ مشارك بكلية الدعوة وأصول الدين

مدخل

تعيش بعض مجتمعاتنا العربية والإسلامية حالة من الانقطاع التاريخي عن حقيقة رسالتها ومشروعها الحضاري ، أضناها التلف في سني عمرها ، واستحوذ عليها الالتزام بمسؤوليات الحياة ، والكيان الذي شكلت منه مجتمعها ، مما أفقد أجيالها المعاصرة التصور الدال على ذاتها ، كما أفقدها أهمية وضوح عناصر هويتها المميزة لشخصيتها ووجودها ودورها الحضاري ، وهي تحاول أن تعبر الكثير من الفخاخ التي نصبت حولها فصارت تصارع أمواج نفسها ومنزلقات طحالب الآخرين من حولها .

وكان من نتائج هذه الفجوة التاريخية في مسيرة الأمة حدوث اختلالات فكرية وحالة من الاستلاب الثقافي المفصول عن عقيدته والذي أدى إلى ضبابية في التعرف على القيم وعدم القدرة على التمييز بين ما نملكه وما ينطلق منه الآخر، حتى كثر الرتق في الفكر والتمزق في النسيج.

ويسعى المصلحون في عالمنا العربي والإسلامي بمناهج شتى لرتق تلك الفتوق الفكرية وإعادة نسيج مجتمعاتها إلى أصالتها وصفاء تكوينها وجوهر دورها ورسالتها ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[1].

والتجديد الذي تحتاجه الأمة لابد فيه من الأخذ وبوضوح كامل بمنظومة قيم الأمة وفق المنظور الإسلامي الكامل واعتماد مرجعيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والأخذ بالمنهج الإسلامي الأصيل ، فالعقيدة تشكل العنصر الأول والمميز من عناصر

(1) سورة الأنبياء آية 107.

الهوية الحضارية التي يعرف بها أو يتميز بها الفرد أو المجتمع أو الأمة كما تنبثق من هذه العقيدة منظومة القيم التي تقود أو توجه سلوك هذا الفرد أو ذلك المجتمع أو تلك الأمة ، ويشار إلى نوع الفكر المنطلق من تلك القيم وشموليتها من خلال نظرته الكلية إلى الإنسان والكون والحياة ، وإلى هدفية الخلق ، وهذا يشمل البداية والمسار والمآل لهذه الأمور جميعا ، وهذا يتطلب منا البحث المعمق والموجز في المفاهيم القوية والإصطلاحية لمفهوم القيم وعملية اشتقاق منظومته من العقيدة الإسلامية وميادين الاختصاص الأولى لها ، مع الإشارة إلى واقعنا المعاش وأين هو من كل ذلك ......

لذا قسمت هذا البحث إلى ثلاثة فصول:

1. مفهوم القيم ودلالاته .
2. ومنظومة القيم وعلاقتها بالتحولات العالمية المعاصرة .
3. منظومة القيم وعلاقتها بالعقيدة .

وأخيرا تأتي التوصيات ..

الفصل الأول

مفهوم القيم ودلالاته

إن المتتبع لكتب اللغة والحديث والتفسير يجد أن مادة "قوم" التي يتشكل منها المصطلح، هي من الكلمات التي تتعاظم حولها المعاني وتتصاعد ، ألا أن النظرة الشفافة تحيل المعنى إلى التوحد فالقيمة بالكسر واحدة القيم والقيم جمع "قيمة" من الفعل قام ويقوم قوماً وقياماً وقومةً ، ويقوم معنى هذه المادة على الاعتدال والثبات والاستقامة والقيام على الحق والعمل والتثقيف به، فاستقام : اعتدل ، وقومته : عدلته فهو قويم ومستقيم وما أقومه شاذ ، وقام الحق ظهر واستقر ، وقام على الأمر دام وثبت ، فالقيم : اسم لما يقوم به الشيء ، أي يثبت كالعماد والسناد لما يعمد يسند إليه ، والإقامة في المكان : الثبات، وتقويم الشيء: تثقيفه, قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[1] ، وقام للأمر: تولاه ، وقام على أهله : تولى أمرهم وقام بنفقاتهم[2] ، وفي عودة إلى الإصغاء لكلمة "قيمة" والتي جمعها "قيم" نجدها تأتي بمعنى الصفة الحسنة والوزن الصحيح للشيء والخلق المستقيم والمعتدل للإنسان [3] .

(1) سورة التين آية 4.

(2) انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، ح12 ، ص 500 ط دار صادر،بيروت . والقاموس المحيط ، الفيروزبادي ح4، ص170 ، ط الجبيل ، بيروت .

(3) انظر:مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني 690-693 تحقيق صفوان عدنان ، دار القلم .

لكن أبرزها وأقربها لمادتنا هو الثبات والدوام والاستمرار، وإن " القيمة " بالكسر والتي هي واحدة القيم مشتقة من الدين ومن الكتاب لأن الله عز وجل قال :" ذلك الدين القيم" ويعني ذلك أن القيم يجب أن تستمد وتؤخذ من الدين القيم المستمد من الطريق المستقيم الموصل إلى الله في جميع شرائعه وطرقه[1]، وبهذه الحالة تكون القيم ثابتة وأزلية بأزلية الحق والخير وليست متقلبة أو رجراجة تخضع لتغير الظروف والعادات والتقاليد. فالمصدر هو:الله القيوم ، والمسلك : طريق مستقيم لا عوج فيه ، والامتداد : في الحياة والكون كله ، والأثر : في نفس الإنسان الذي جعله الله خليفة في الأرض والذي ميزه بحسن التركيب وحسن التعديل في الهيئة وأمره بحسن التدبير والتسيير في التعامل مع المخلوقات المسخرة له عبادة وطاعة للخالق . وصفات الدوام والثبات والإطلاق وعدم التغيير التي تكتسبها القيم التي زرعها الله في الإنسان حيث نفخ فيه من روحه ، وعليه : فإن مصطلح القيم لا ينفك عن هذا المحيط من المعارف المتكاملة [2]. إن التلفت بحثاً عن تحديد لماهية المفهوم يستحوذ عليه الإلتزام في المعنى ، والكيان الذي يتشكل من شمولية الإسلام . ومن هنا فالقيم الإسلامية هي الدين الإسلامي نفسه . وقد تأكد ذلك من عدم وجود حاجة ملحة في الدوائر الإخبارية القديمة لتعريف القيم . يقول د. فوزي طايل – رحمه الله – : " يلحظ الباحث أن فقهاء المسلمين لم يفردوا أبواباً خاصة بالقيم ، لأن القيم الإسلامية هي الدين ذاته فهي الجامع للعقيدة والشريعة والأخلاق والعبادات والمعاملات ، ولمنهاج الحياة والمبادئ العامة للشريعة ، وهي العمد التي يقام عليها المجتمع الإسلامي فهي ثابتة

---

(1) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن السعدي, ج 6 ، ص 126.

(2) انظر:"مستقبل التربية على القيم في ظل التحولات العالمية المعاصرة " ل د.خالد الصمدي / islam Arabic/online .net ، وانظر الثبات والشمول ، د.عابد محمد السفياني ، ص110.

ثبات مصادرها ، وهي معيار الصواب والخطأ ، بما يميز الخبيث من الطيب ، ويرجع إليها عند صنع القرارات واتخاذها . وهي التي تحدث الاتصال الذي لا انفصام له بين ما هو دنيوي وما هو أخروي في كل مناحي الحياة "[1].

وعلى هذا المعنى تدور تعاريف كثير من الباحثين المعاصرين في مجال القيم .

يقول د. ماجد عرسان الكيلاني :" القيم محطات ومقاييس تحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها أو من حيث سوئها وعدم قيمتها وكراهيتها ، أو في منزلة معينة بين هذين الحدين "[2] .

ويقول د. أحمد مهدي عبد الحليم :" ويشير مفهوم القيمة إلى حالة عقلية ووجدانية يمكن تعرفها في الأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال مؤشرات هي المعتقدات والأغراض والاتجاهات والميول والطموحات والسلوك العلمي ، وترفع الحالة العقلية والوجدانية لصاحبها إلى أن يصطفى بإرادة حرة واعية وبصورة متكررة نشاطا إنسانيا – يتسق فيه القول والفكر والفعل – يرجحه على ما عداه من أنشطة بديلة متاحة فيستغرق فيه ، ويسعد به ، ويحتمل فيه من أجله أكثر مما يحتمل في غيره دون انتظار لمنفعة ذاتية "[3].

وعرفها بعضهم بأنها : مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله ، كما صورها الإسلام ، تتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية ، بحيث تمكنه من اختيار

---

(1) كيف نفكر استراتيجياً ، مركز الإعلام العربي ، القاهرة ، 1997م ، ص 30-31.

(2) فلسفة التربية الإسلامية، ص 992.

(3) تعليم القيم فريضة غائبة، مجلة المسلم المعاصر ، ص65-66.

أهـداف وتوجهـات لحياتـه تـتلاءم مـع قدراتـه وإمكانياتـه ، وتتجسـد مـن خـلال الاتجاهـات أو الاهتمامـات أو السـلوك اللفظـي أو العلمـي بصـورة مباشـرة وغـير مباشرة[1].

ولكن جاء بعد ذلك من يشتق منظومة القيم في الإسلام بطريقة منهجية ، ووضع أساس متين لمثل هذا الاشتقاق ، يذكر الدكتور عبد الله بركات : أنه أخذ عن الفقهاء المسلمين مفهوم الكليات الخمس التي جاء الإسلام لحفظها ، وهي الدين والعقل والنفس والمال والعرض ثم طور طريقة لاستنباط كافة القيم الإنسانية من تفاعل هذه الكليات مع متغيرات أخرى ، مثل الإرادة والمصلحة والفاعل و المتلقي للقيمة وينتج عن تفاعل هذه المتغيرات عدد ضخم من القيم[2] متصلة بالقيم العليا وهي الشريعة ، ولذلك من الممكن أن نتوقف عند التعريف الأقرب والأشمل لدى الدكتور حامد زهران الذي عرف القيم بأنها : "حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتدياً بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محددا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك "[3].

ومن هنا فإن قسمات المعاني التي تتخايل في بدء محاولاتها لخلخلة منظومة القيم لا تلبث أن تتبدد لأنها تتبدى على حقيقتها ، فهذه المبادرات التي تطرح من هنا أوهناك لجعل تلك المنظومة قابلة لاستيعاب قيم من معطيات العقل البشري المجتمعية ذات المرجعيات الإلحادية والفاسدة، كل ذلك يعد محاربة صريحة للدين الإسلامي، كما حاول البعض الاستقلال المتمرد والرافض للمعنى والمسور بالهيمنة ، يقول الدكتور

---

(1) انظر: القيم الإسلامية والتربية ، د.خليل مصطفى أبو العينين ، ص34-35.
(2) انظر : دور القيم في التغيير الاجتماعي ، د.عبد اللطيف عربيات ، ص55.
(3) علم النفس الاجتماعي ، ص132.

خالد المنتصر في جريدة عرب تايمز مغالطاً:"المشكلة أن تعبير القيم الإسلامية تعبير فضفاض وغامض ومن الممكن أن يفسره كل على هواه ويصادر ما لا يروق له بحجة مخالفة هذه القيم ".

وهذا كله مرفوض من أساسه لأن أي حضارة لها قيمة عليا فالحضارة الغربية قيمتها العليا هي "الحرية " وفي حال تعارض القيم تقدم الحرية على ما سواها من القيم الأخرى ، والاشتراكية قيمتها العليا هي " المساواة" وكذلك تفعل في حال تعارضها مع قيم أخرى في مجتمعاتها .

أما الحضارة الإسلامية فهي كما ذكرنا موصولة بالنصوص، فقيمتها العليا هي "الشريعة" بمعنى تحكيم وإقامة شرع الله ، ومن ثم لو تعارضت القيمة الإسلامية العليا "الشريعة" مع أي قيمة أخرى يجب أن تقدم الشريعة.

وبهذه الحالة تكون القيم ثابتة وأزلية بأزلية الحق والخير وليست متقلبة تخضع لتغيير الظروف والعادات والتقاليد(1).

فالعادات والتقاليد تتغير بتغير الشعوب والبيئات والأماكن والأزمان ولكن القيم الإسلامية ثابتة ، وهي تنطلق من أصول ومبادئ واضحة ، وهي تسود المجتمعات وتقوم المعوج وتؤيد الخير والفضيلة والمتفقة مع هذه الأصول عن الكون والحياة والإنسان(2).

وبالمقابل فإن ما ذكرناه سابقا عن القيم العليا لدى الحضارة الغربية أو الحضارة الرأسمالية نجدها متغيرة وفق المتغيرات الإنسانية ودوافعها الذاتية تتسند متعبة بتمردها

---

(1) انظر:التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ، ص5-6.

(2) انظر:الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادةً وقسماً علمياً، د.عبد الله بن إبراهيم الطريقي وآخرون ، ص33-34.

المليء بالحوارات المتغيرة والمعاناة ، وهنا يطوف برؤسنا سؤال يختلط بمحتواه ، حول أن بعض غير المسلمين لديهم بعض القيم الجيدة والتي لا نجدها أحيانا في واقع بعض المسلمين الآن مثل حب النظام ، واحترام الوقت، وإتقان العمل وغيره من القيم ، فهذه في الحقيقة في أساسها قيم إسلامية مستمدة من فكر الإسلام وواقعه والذي تحول الآن إلى فوضى في نظام القيم ولعله جزء من مخطط أو حملة لإحلال القيم الغربية محل القيم الإسلامية الأصيلة كأحد مخططات الحملة التي تشنها القوى الأمريكية والغربية ، والمتتبع لوسائل الإعلام الغربية عموماً والأمريكية والبريطانية بوجه خاص ، يلحظ أن هناك حملة لإحلال مصطلحات ومفردات غريبة تهدف إلى زحزحة القيم الإسلامية وإحلال قيم بديلة لها للتأثير في الرأي العام العربي والإسلامي تمهيداً لإعادة تشكيل عقليته[1]. وأنا أخشى أن الأمر تحول إلى بصمة فوق أعمالنا وأعمارنا فكلا القيمتين نقيض الأخرى فلا التوهج الموعود يتفاعل ، ولا الغيث ينسكب بل هو يجري وراء الوراء ، ذلك الذي يحدد معيشتنا، ونسبة الترف في استخداماتنا بينما يزداد في كل يوم تفريغ الإنسان من محتواه، وتجف العقول من فكرة الحق والخير وهي ليست مبالغات ولكنه واقع العصر .. إنها فوضى القيم في دهاليز العبرة.

وهذا ما يدعونا إلى أن نتعرض للقيم في ضوء التحولات العالمية المعاصرة ، التي ستبرز لنا أزمة شاملة على أنواع من القصور القيمي بشكل عام في المجال الأخلاقي والمجالات الأخرى وجمعها في حيز واحد[2].

---

(1) انظر: مقالة هل سيصادر الأزهر كتب البخاري والطبري، www.arabrenewal.com.

(2) انظر : من أجل انطلاقة حضارية شاملة ، د.عبد الكريم بكار ، ص158.

الفصل الثاني

منظومة القيم وعلاقتها بالتحولات العالمية المعاصرة

إن بداية الأزمة ظهرت في الغرب وذلك حينما دُعي في نهاية القرن التاسع عشر إلى ضرورة الفصل بين الحياة والدين بل وصدر مرسوم بذلك ، وبصدوره اختفت من البرامج الرسمية كل الواجبات تجاه الإله ، وظلت الحياة مستقلة عن كل تعليم ديني غير أنه لم يكد القرن العشرين ينقضي حتى كان هذا الفصل قد أحدث انعكاسات سلوكية سلبية على الواقع القيمي والتربوي والأخلاقي عند الأفراد قاطبة في المجتمع الغربي الذي أصبحت النظرية المادية تمثل طابعه الفكري المعاصر وأساسه لكل ما يتعلق بالقيم والثقافة والحياة في ذلك المجتمع ، ولذلك كانت المادية هي المقياس والمعيار الوحيد الذي يقيم كل شي بما فيه الإنسان وما يتعلق به من أمر ، هذا ما جعل كثيرا من المفاهيم المعاصرة مختلفة ومتنافضة : الخبيث والطيب ، الشر والخير ، القُبح والجمال ، الكذب والصدق ، الظلم والعدل ، والوحشية والإنسانية .

وهذا ما أدى إلى انحلال القيم والمثل وانحطاط الأخلاق وانتشار عبادة المادة والذات مما كان له أكبر الأثر في انتشار ظاهرة الانتحار والقتل والتعذيب والسرقة والاغتصاب والشذوذ الجنسي وغيرها من الجرائم ، وهي لا شك نتيجة تغلغل الفكر المادي كقيمة عليا في المجتمع الغربي المعاصر ، واعتبار المادة العنصر الفعال المحرك للإنسان ، والقوة الفعالة التي حطمت وهدمت بدورها جميع القيم الأخلاقية والروحية و التشريعية ، وقطعت أواصر الروابط بين الأفراد والأسر والجماعات والشعوب والدول، وجعلت حب الأنا فوق كل اعتبار بصورة مطلقة ، فانقبضت الأيدي عن الإنفاق والعطاء ،

وذهبت من النفوس النخوة والأثره وذهبت عن الإنسان إنسانيته في سبيل المال أو الشهوة أو السلطة تمسكاً أو سعيا لأي منهما[1].

الغرب الذي تبنى المذهب العقلي الذي ينكر الوحي الإلهي كما ينكر المعجزات وخوارق العادات ، ويخضع العقائد الدينية للعقل مناوئا ليس فقط ما جاء في أصول الإسلام بل لكل دين إلهي[2] ، وعليه فإن هذا المذهب أخضع كل شيء للعقل بما في ذلك القيم ، ولما كانت العقول تتفاوت في الفهم والإدراك والتفكير ، وهي قاصرة ومحدودة فهي لا تثبت على شيء سواء في مجال القيم أو غيرها وهذا يجعلها لا تؤمن بالثوابت إلا ما وافق العقل وخضع له [3]، بل هم الذين يقولون بتغير القيم كما تتغير كل الأشياء[4].

الغرب الذي تبنى فكرة دارون وفكرة التطور الذي شمل الله سبحانه وتعالى ذاته، وفكرة العقيدة بما في ذلك القيم والذي يعتمد على الحتمية المطلقة والتي تجعل الإيمان بثبات أي شيء وإن كان الدين أو القيم أو التقاليد جموحاً ورجعية، وكل محاولة للثبات على شيء من ذلك هو معركة خاسرة مع القدر الذي لا يقهر ، واضطراب خط التطور يلغي كل المعايير الثابتة المتعارف عليها للحكم على الأشياء ويستبدل بها معياراً واحداً لا ميزة له في ذاته إلا عدم قبوله صفة التطور ، وهو "الزمان" فكل

(1) انظر : الشرائع والأخلاق بين الحضارة والإنحطاط ، محمد نجاح شبيب ، ص136-137، اتجاهات النهضة والتغيير في العالم الإسلامي ، د.عباس حسني ، ص65-73.

(2) انظر : الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ح ، ص 806-807.

(3) انظر : القيم بين الشرق والغرب ، د.مانع المانع ، ص245.

(4) انظر: مقدمة في علم الأخلاق ، د.محمود حمدي زقزوق ، ص 27-28.

عقيدة أو نظام أو خلق هو أفضل وأكمل من غيره مادام تالياً له في الوجود الزمني [1].

يقول جوستاف لوبون :" إن الزمان إله،لأنه هو الذي يولد المعتقدات فينميها ثم يميتها ، ومنه تستمد قوتها وبفعله يتولاها الضعف والإنحلال ، إن الزمان هو صاحب السيادة فينا وما علينا إلا أن نتركه يعمل لنرى كل شيء يتبدل ويتحول"[2].

وهكذا آمنت أوروبا بالتطور المطلق وحسبت كل تغير – وإن كان انتكاسة وانحطاطا – تطوراً وتقدماً . وأن لا شيء ثابت على الإطلاق حتى الإيمان ، وهو ما عبر عنه رسل بقوله :" ليس ثمة كمال ثابت ولا حكمة لا تقدم بعدها .... أي اعتقاد نعتقده وإن كان بالغ الأهمية ليس بباق مدى الدهر ولو تخيلنا أنه يحتوي على الحق الأبدي فإن المستقبل كفيل بأن يضحك منا "[3].

وهذا ما دفع فيلبس كوبس ، في كتابه " الأزمة التربوية العالمية " للقول : إن الاضطراب الذي نجم عن الثورات العلمية والتقنية الأخيرة جعل من التربية الأخلاقية موضوع اهتمام ودراسة ، ففي القرن التاسع عشر كانت هذه التربية تشكل قاعدة لكل شيء في سائر بلاد أوروبا وأمريكا الشمالية ، وكانت العلاقات الأسرية والاعتقادات والمؤثرات الدينية قوية .. لكنه ابتداء من العقد الرابع للقرن العشرين حصل تغير جذري في المناخ السياسي والاقتصادي والتربوي جعل الغرب يتحرك بين المسافة والظل وكان من نتائجه أن اعتبرت التربية الأخلاقية أمراً منوطاً على مغالطة تاريخية ، وهكذا تم إهمال هذه التربية ، وظلت على هذا النهج حتى نهاية السبعينات،

(1) انظر : العلمانية ، د.سفر الحوالي ، ص201-202.
(2) روح الجماعات ، ترجمة عادل زعيتر ، ص103-104.
(3) العقل والمادة ، برتنرد رسل ، ترجمة أحمد إبراهيم الشريف ، القاهرة ، ص256.

وقد حصل الاضطراب الثقافي المشار إليه آنفا محدثا أنواعاً من الأزمات الإجتماعية التي أقلقت بال السياسيين والمشرعين على مجريات الأمور[1] .

وإذا كان هذا التوصيف لأزمة الواقع في نظمه الدينية والقيمية والأخلاقية وتجاربه العلمية والتعليمية قد ظهر في الغرب وتحدث عنه العقلاء عندهم فما علاقة ذلك بمجتمعاتنا الإسلامية ؟ وكيف انتقل لها؟ أو كيف كان هذا الاتصال؟ وهي أسئلة متراكمة بعد أن فاضت تطاردنا حتى استرجعتنا .

وللإجابة عن ذلك نقرر أن من الحق التأكيد على أن الحياة في أقطار العالم الإسلامي كان الدين فيها ارتكازا، حتى دقت نواقيس الحضارة الأوروبية وجلبت معها بخيلها ورجلها العلم الأوروبي، وانبهر المسلمون بما حققه هذا العالم.. ومن هنا بدأ صراع صامت بين أسلوب التعليم القديم وبين الأساليب الحديثة، واستقر الرأي في كثير من ديار الإسلام أن تترك معاهد التعليم الديني على مناهجها، وتتجاوزها بتقديم العلم الحديث بأساليبه ومناهجه في معاهد جديدة.. مما أوجد ازدواجية في التعليم في العالم العربي والإسلامي مشكلة يجب إعادة النظر فيها ، من أجل نظام تعليمي موحد ينبثق عن أحسن ما في القديم وأفضل ما في الحديث . أخذ مساراً داخل قيم المجتمعات الإسلامية وهناك مسار آخر يحمل تحدياً من نوع آخر حيث توقف الغرب أمام مصادر هذه القيم .. فكان التوقف عند الشريعة الإسلامية طويلاً ، ووجهت إليه مناهج عصرية تستخدم أدوات جديدة في الفهم تتماشى مع طبيعة التفكير الغربي وطموحاته الإستعمارية ورغباته الإستعلائية المدمرة التي نالت من عمق النفسيات والرؤية للحياة والأحياء ، وهكذا بدأت أول حملة على شريعة الإسلام لضرب القيم فيه على يد جماعة من الباحثين الأكاديميين لغرض فهم الآخر وتقريبه ،

(1) انظر : أثر الاستغراب في التربية والتعليم ، د.عبد الله الشارف ، ص 14-324.

وفي مرحلة أخرى للتشويش عليه وتشويه صورته ، هؤلاء هم الذين أطلقوا عليهم صفة (مستشرقين) وكان أول ما فعلوه هو التشويش على مصادر الشريعة : القرأن والسنة ، فالقرآن عندهم هو كلام بشري لا إلهي ، والسنة النبوية لا قدسية لها في التشريع ولا في العبادة[1] وهكذا جندوا أنفسهم لدراسات مدخولة واختلفت أبحاثهم كماً وكيفاً وأحكامهم مبالغةً وتشديداً واعتدالاً وتوسطاً والهدف واحد والطابع واحد يعبث بالقيم ، فقوامة الرجل على المرأة تعد عندهم تفوق يضع الرجل في القمة والمرأة في الحضيض ، وطاعة المرأة لزوجها فيما يرضي الله ورسوله هي إذلال وخضوع وركوع ، وعدم قبول المسلم والمسلمة لولاية الأجنبي يعكس عدم التعاون مع الشعوب الأخرى ، ويعكس الجمود والإنغلاق وعدم التفتح على المحيط ، ويفسر عدم زواج المسلمة من الغربيين عنصرية تمت بدافع العصبية الكريهة أو بدافع الغرور والعنهجية .. وهكذا[2].

وقد نجح المستشرقون في التأثير على أجيالنا بتربيتهم في محاضن الغرب فساروا في فلكهم يبحثون ويؤلفون في شبهات أريد لها أن تشتهر ودفع بها إلى الدرس الجامعي والأكاديمي بل تطاولت هذه الثقافة تحت ضغوطات دولية وأخرى أيديولوجية من أجل أن تتبوأ الصدارة في التربية والتعليم ، بل أعيد النظر في سياسة التعليم على وفق مقاصد وأهداف تلك الثقافة . ثم كانت دراسات وتخصصات ومؤلفات ، المطلع عليها يجدها قد تجاوزت بكثير طبيعة البحوث الغربية نفسها حيث يسود في هذا النوع من المؤلفات استهزاء واضح بالقيم واستهتار كبير بالأخلاق والتقاليد الموروثة ، كلتاهما مقتولة وقاتلة في عمق نفس الإنسان بعد أن أغرقت المجتمعات في الإباحية

(1) انظر : الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي ، محمد البهي ، ص225-232.

(2) انظر: المصدر السابق ، ص 58.

عن طريق الإعلام المتعدد[1] حتى كان هو عقيدة العصر ، وإذا كانت الإباحية في أصلها تعني التحلل والخروج عن الدين والقيم والأخلاق فإن هذا المعنى من شأنه أن يفسر كثيراً من مسلكيات ثقافة هذا العصر ، ثقافة الحداثة وما بعدها، ثقافة النظام الدولي الجديد و العالمية والعولمة ، تيه يتمدد وقد قاد هذا التمدد الوافد من كان بالأمس يعتبرها –أي القيم الغربية– تقليداً في الثقافة لكنها اليوم أصبحت تأييداً، كما وأخذت تسويغات من نوع ما تتزعم القضايا من خلال أعلى قيمة غربية وهي الحرية في القول والعمل ، وكل شيء يصادم حرية الإنسان لابد من زواله ، وبينما كان يسود في المجتمع الإسلامي الحق أن الدين والأخلاق والقيم العريقة هي المعايير التي توجه سلوكه الملتزم أصبحت أشكال الموضه ، وقوانين النظام الدولي الجديد وأنماط معينة من التفكير الزندقي الوافد من الغرب ومن سوء التربية الأسرية والتعليمية هي المتحكمة في المجتمعات يدلنا على ذلك المطالب الجائرة التي ترفع اليوم باسم التنظيم والتأطير والتقنين لرفع الظلم والحيف عن المرأة مثلاً . وقد لعب الإعلام دورا كبيرا في ذلك فلم يعد يخدم أهداف المجتمع الإسلامي ويعالج أمراضه ويدافع عن خصوصيته ويرفع من قيمه ومُثُله بقدر ما تخصص في زعزعة القيم والأخلاق وهي قضية خطيرة في حياة المسلمين اليوم الذين صار يروق لهم الانتظار والاسترخاء ، هي نقلة جديدة بعد كل النقلات التي تشكلت منها حياة المجتمع المسلم ومازالت متوقفة في جانب منها والمتغيرات التي أخذت تحدث الشروخ الخطيرة في بنية المجتمع من الداخل والسلوكيات، والوشائج ، خاصة وأن هناك محاولات حثيثة للتنميط الثقافي والاجتماعي بعد النجاح القهري في عولمة الاقتصاد وهذا يمر بالضرورة عن طريق إعادة خلخلة القيم التي تحفظ لكل أمة خصوصيتها ، وهكذا أصبحت النظرة إلى

(1) انظر : الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، أنور الجندي ، ص272.

قضايا السكان والتنمية وحقوق الإنسان تأخذ بعدها الدولي من خلال مؤتمرات الأمم المتحدة ، وتجد الأصوات المنادية بالخصوصية الحضارية للشعوب ترفع أصوات الاحتجاج والاعتراف والتخطيط على كل ما يمس أسسها العقائدية والفكرية وما لا ينسجم وواقعها ، وتحاول أن تستصدر من هذه المؤتمرات توصية تمكنها من تكييف التوصيات الدولية مع خصوصياتها .

إلاَ أن الأمر بالنسبة للقيم الإسلامية يتجاوز الحديث عن الخصوصيات الإقليمية لكونها قيماً عالمية وكونية، وهذا هو الذي يدفعنا في اتجاه الانتقال للدعوة إلى مراعاة الخصوصيات ونحن نتحدث عن الحوار مع الآخر.

وحين ننظر إلى الواقع نجد أن الدعوة إلى ضرورة الاعتراف بالخصوصيات الحضارية للشعوب التي لا تحمل خصوصيات عالمية أو الحديث عن حوار الحضارات للشعوب التي لا تحمل خصوصيات عالمية تصطدم بالاتجاه العالمي الأحادي النظرة المسنودة بالقوة الاقتصادية وتكنولوجيا الإعلام والاتصال ، والذي يدعو الجميع إلى الانخراط في سياق العولمة بقيمها ومبادئها ، فانتقل العالم من حوار الحضارات إلى صراع القيم وإعادة تشكيل عقل الإنسان وفق أنماط محدودة .

ومن هنا أصبح الحديث عن ضرورة إعادة النظر في البرامج والمناهج التربوية ، خاصة في بعض البلدان الإسلامية التي يُدعى أنها ترسخ ثقافة العنف ، والمطالبة بضرورة احترام المواثيق الدولية في صياغة قوانين الأسرة والتعليم بالاستناد إلى منظومة القيم التي تؤمن بها ،وبين أن تكون تحت ضغوط سياسية واقتصادية تدفعها إلى إعادة النظر في منظومة القيم ذاتها[1] وقد كان ، فلم تعد القيم منظومة متكاملة حين أتت

(1) انظر : مستقبل التربية على القيم في ظل التحولات العالمية المعاصرة ، خالد الصمدي ، Islam online.net.

الجغرافيا لتتكلم عن قيمة البيئة والطبيعة ، ويتكلم الاقتصاديون عن قيمة المال والأعمال ، ويتكلم السياسيون عن قيمة السياسة والدبلوماسيين ، ويتكلم السوسيولوجيون عن قيم المجتمع،ويتكلم الفلاسفة عن قيم النظر والتأمل ... هكذا تُجزأ القيم إلى أشلاء وأطراف لا رابطة بينها ، وتتوه خصوصيتها وسط ركام من الكلام ، قد يحقق هذا شيئا حضارياً ما لكن أخطر ما يحققه هو عدم إرجاع عصر الإنسانية للإنسان أو توجيه الإنسان إلى إنسانية ، والأخطر من هذا كله حين تصاغ هذه النعوت والأوصاف بفلسفة من مرجعية غربية ، ومن أيدولوجية خارجية لها طموحاتها الخاصة ، ومطامعها الخاصة ، وأهدافها الخاصة التي تصوغ القيم بل تصوغ الإنسان على وفق مصالحها ومطامحها .

وهناك تضييق شامل وكامل على البقية المتبقية من المبادئ والقيم الإسلامية التي تصوغ الإنسان ، فقواعد حقوق الإنسان أصبحت ملزمة على كل من وقع عليها ، وجرى تطور في الفقه الدولي بما يخدم مصالح الدول الغربية الكبرى ، وأصبح لدى هذه الدول مصالح انتقائية وازدواجية تجاه الآخر ، وأصبح التركيز على المجتمع الديمقراطي،وعلى التربية القائمة على الديمقراطية وحقوق الإنسان ... وتجرأ ذلك وأخذ أبعاداً أخرى ، من ذلك أنه اتخذ سلاحاً ضد كل محافظ على هويته ، وكل (عاق) لهذا النموذج العالمي المتسلط ، ولم يعد الكلام على النظر فيما يخالف المبادئ والقيم والخصوصية في غالبية كل بلد مسلم بل انعكست الحالة إلى النظر فيما يخالف القانون الدولي وما جرى التوقيع عليه ، فما خالف هذه القوانين يجب تغييره أو تعديله أو تحويله [1]... وما يوجد اليوم من هزات في ثوابت المجتمع ، مثل القيم،والأخلاق،والسلوك والتربية ، والحقوق خير دليل على ما نقول .

---

(1) انظر : الأسرة المسلمة في معركة القيم ، محمد خروبات ، Islam online.net.

الفصل الثالث

منظومة القيم وعلاقتها بالعقيدة

لا شك أن العقيدة هي الأساس والأصل الذي تبنى عليه القيم في الإسلام، وهو الدعامة التي يعتمد عليها في إقامة جميع الأنظمة بما فيها النظام الأخلاقي ، لأن القيم في تطبيقها تحتاج إلى مؤثرات رقابية في السر قبل العلن ولأن العمل إنما يتبع الاعتقاد ، وعلى قدر ما تصح عقيدة الفرد وتقوى تستقيم أعماله وتزكو أخلاقه وتسمو همته[1] ومدار الأمر كله هو توحيد الله الذي بدونه لا ينفع صلاح الأعمال الظاهرة ولا الباطنة فهو الذي يقود المرء إلى عمل الخير ويبعده عن الشر .

وقد لخص أركان هذا الأصل صاحب كتاب "الاتجاه الأخلاقي في الإسلام" تلخيصاً جيداً حين قال :

الركن الأول : الإيمان بوجود الله الذي خلق ما في الكون وهو بكل شيء عليم، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [2] ، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ [3].

الركن الثاني: أنه منذ خلق الله الإنسان عرَّفه نفسه ، وعرَّفه طريق الخير والشر، والحق والباطل برسالات أوحى الله بها إلى من إختاره من الناس بما شاء سبحانه وتعالى ،

---

(1) المدخل إلى الثقافة الإسلامية، د. محمد رشاد سالم ، ص184 ،ن الطبعة السادسة ، دار القلم ، الكويت ، 1402هـ .

(2) سورة الزمر ، آية 22.

(3) سورة ق ، آية 16 .

قال تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾[1] فمن أصلح نفسه فقد فاز ونجا ، و إلا خاب وخسر وندم ، قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [2] ثم إن الله تعالى خلق للإنسان قدرة لإدراك تلك الحقائق ونصب دلائل واضحة بينه وبين الطبيعة حتى يدركها من يتأمل فيها فيبحث عنها ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [3] .

وبناء على ذلك فقد كلف الله تعالى الإنسان بإتباع الحق والخير واجتناب الباطل والشر ، كما بين ما يجب على الإنسان تجاه خالقه وتجاه المخلوقات الأخرى .

الركن الثالث: وجود حياة أخرى بعد الموت ، وهذه الحياة إما نعيم لمن صلح واتبع هدى الله ، وإما جحيم يجازى بها من اتبع الباطل وفعل الشر ، وهذه وتلك تكون بعد حساب دقيق يحاسب فيه كل إنسان بما عمل ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[4] إذاً فهذه الحياة الدنيا ميدان عمل واختبار وتلك

(1) سورة الأعلى ، آية 1-3.

(2) سورة الشمس ، آية 7-10.

(3) سورة فصلت ، آية 53.

(4) سورة يس ، آية 12 .

الحياة مكافأة وجزاء لعمل الإنسان في هذه الدنيا من خير وشر ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [1] .

ومن أبرز ما يميز هذا الأصل أمور ، هي :

أولاً: إن القيم المبنية على المعتقد الصحيح ذات قدسية وهذا يؤدي إلى أمور :

- تعظيم هذه القيم وإجلالها ، ومن ثم تكون لها سلطة تتحكم في حياة الإنسان وتصرفاته في السر والعلن .
- تأثير هذه القيم في الإنسان عملياً من الناحية الإيجابية أو السلبية نتيجة تطبيقها أو عدم تطبيقها ، لأن الإحساس بقدسية تلك القيم يجعل الإنسان من نفسه رقيباً على تصرفاته، فيشعر على أثر ذلك بالسرور وإنشراح الصدر ويكون أثر عدم تطبيقها الإحساس بالوخز والضيق والكآبة .
- إن هذه القيم ستحترم وتطاع طاعة اختيارية تنبع من ذات الفرد ، لأنها تقوم على الإيمان ، وكلما زاد إيمان الفرد عمقاً ورسوخاً كملت أخلاقه وازداد تمسكاً بقيمه ، ولذا فإن تمسك المسلم بقيم دينه دليل على إيمانه ، وهو مظهر تعبدي يرتضيه الله سبحانه وتعالى من عباده ، وما دام المؤمن في عمل يرتضيه الله فهو في عبادة ، وبه نحكم على السلوك الإنساني ونقيمه . أما القوانين الوضعية التي لا تنبع من ذات الفرد فليس لها مثل هذا التقدير والاحترام والهيبة التي تتمتع بها القيم الإسلامية في نفوس المؤمنين[2].

---

(1) سورة الملك ، آية 2.

(2) انظر : القيم الأخلاقية ، د. سامية عبد الرحمن ، ص39 ، المدخل إلى التطور الإسلامي في الإنسان والحياة ، د. عابد توفيق الهاشمي ، ص 162–163.

ثانيا: إن علم الإنسان بربانية مصدر هذه القيم والمستمدة من كتاب الله تعالى يؤدي إلى شعور عميق بالثقة الكاملة بتلك القيم وذلك لأن هذا الكتاب محله ثقة الناس ، لأنه مبرأ من كل نقص أو هوى قد يصاحب العمل الإنساني أو يؤثر في الفكر البشري[1] وبناء على ذلك فإن القيم الإسلامية في منأى عن المصالح الشخصية للإنسان ، كما أنها لا تخدم مصالح الأقوياء دون غيرهم كما هو الحال في القيم الغربية ، ثم إن هذه النزعة الفطرية المتولدة عن الشعور بالثقة الكاملة بتلك القيم تدفع المرء إلى الاستقامة وحسن الخلق ، وهي نزعة لا تحتاج إلى محرك خارجي ولا إلى رقابة خارجية إذ السلطان على الفرد عندئذ هو الاعتقاد الذي يحمله بين جنبيه ، كما أن الثقة الكاملة بين الإنسان وما يجب عليه فعله ، وحب صادق له ، ورغبة قوية فيه ، وحرص تام عليه وسعادة غامرة في أدائه هي الأساس في تمسك المجتمع بالقيم وتعاون أفراده على أساسها .

وعلى هذا فإن انبثاق القيم الإسلامية من المنهج الإسلامي الرباني يعطينا مطلق الثقة الكاملة بها ويجعلها موضع الإيمان والتسليم[2].

ثالثاً: إن القيم في الإسلام من حيث أصولها عامة وثابتة، وهي تتجاوز القوانين الوضعية من ناحية التأثير والتطبيق.

رابعاً: إن امتثال هذه القيم يحقق للإنسان السعادة في حياته، لأنها تجمع بين المنافع المادية والمعنوية.

(1) انظر : أضواء على الثقافة الإسلامية ، د. نادية شريف العمري ، ص20 .

(2) انظر : لمحات في الثقافة الإسلامية ، أ. عمر عودة الخطيب . ص66-67.

خامساً: إنها تصبغ حياة الإنسان بصبغتها وتكيفها بروحها وغايتها[1]. فعقيدة التوحيد هي وحدها القادرة على حسم الأدواء وحل المشكلات والقضاء على الأزمات، فهي تشيع روح الخير والطمأنينة والسلام بين أفراد المجتمع.

وما لم تبن هذه الحياة على هذا الأصل الذي يوازن بين الحق والباطل والفضائل والرذائل ، فلن ينحسم الصراع بين قوى الخير والشر ، ولن تجد سفينة الحياة سبيلها إلى شاطئ السلام ، وبر الطمأنينة وأفق الرحمة ، والعدل والتسامح والمساواة[2].

وتظهر قيمة هذه العلاقة حين ننظر إلى الواقع الغربي بكل سقطاته والذي ينظر إلى الدين بثوابته وقيمه على أنه قضية تجريبية كسائر القيم ، وأن قيمة الدين فيما ينتجه من فوائد ومنافع حتى قال قائلهم :" إن اعتبار شروط وجود الدين وأصوله ونشأته لا أهمية لها عند من يسأل عن قيمة الدين ، لأن قيمته فيما ينتجه "[3].

وبالتالي ليس لله بذاته ووحدانيته وصفاته من قداسة لدى هؤلاء حيث يقول وليم جيمس :" إنه من العبث أن نقول أن هذه الفوضى التي نعيش فيها ونتحرك هي من صنع إرادة واحدة متماسكة ، والكون يقدم لنا كل دليل وعلامة على التناقض في نفسه ، قد يكون الأقدمون أعقل منا وأحكم ، وقد يكون تعدد الآلهة أصدق وأحق من وجود إله واحد بالنسبه إلى هذا الخلاف والتعارض في الكون ... إن الاعتقاد بوحدانية الكون هو المرض الذي يصاب به الفلاسفة الذين يستبد بهم الجوع والعطش

---

(1) انظر : الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، د. مقداد يلجن ، ص119-123.

(2) انظر : لمحات في الثقافة الإسلامية ، أ. عمر عودة الخطيب ، ص311 ، وانظر : القيم بين الإسلام والعرب ، د. مانع المانع ، ص76-77.

(3) انظر : العلم والدين في الفلسفة المعاصرة ، أميل بوتروا ، ترجمة د. أحمد فؤاد الأهداني . ص447 .

للوصول إلى الحقيقة بل إلى الوحدة ، لقد كان الاعتقاد بتعدد الآلهة هو الدين الحقيقي بالنسبة إلى عامة الناس دائماً ، ولا يزال كذلك والناس على صواب والفلاسفة على خطأ "[1] وإنما كان الفلاسفة على خطأ عنده لأنهم يؤمنون بإله واحد ، والإيمان بإله واحد نوع من الخرف عند وليم جيمس ، أما صفة الكمال والقدرة والأبدية وغيرها من الصفات فيقول عنها إنها:"صفات عظيمة وجليلة ولكن ما معنى هذا ؟ وما هي النتائج بالنسبة إلى الناس؟ فإذا كان الله محيطاً بكل شيء وقادراً على كل شيء ، فإن ذلك يعني أننا لا نملك من أمرنا شيئاً ولا نستطيع أن نغير من مجرى القضاء والمصير الذي فرضته إرادة الله ووحدته وخطته منذ البداية ... ولكننا طبعاً لا نقبل مثل هذه الفلسفات الكئيبة القائمة ، لقد ارتأى العقل الإنساني هذه الفلسفات لبساطتها المنطقية وتناسقها ، ولكن الحياة تتجاهلها وتغمرها وتتجاوزها "[2].

فهذه الصفات الإلهية هي صفات ميتة في نظرهم ، لأنها لا تحقق نفعاً للناس ولا تجلب مصلحة بزعمهم ، وقد طبق الغرب النفعي مذهبه هذا على مجمل العقائد بوجه عام ، فضابط العقيدة عندهم ، هي أن كل عقيدة جلبت لصاحبها نفعاً فهي مقبوله وخير وحق ولو كانت تخالف ذلك . وكل عقيدة جرّت على صاحبها ضرراً فهي مرفوضة وباطلة ولو كانت على خلاف ذلك[3].

---

(1) قصة الفلسفة ، ول ديوانت ، ص 620 .

(2) قصة االفلسفة ، ول ديوانت ، ص618-619.

(3) الإسلام في مواجهة الأيدلوجيات المعاصرة ، د. عبد العظيم المطعني ، ص155-175 ، القيم بين الإسلام والغرب ، مانع المانع ، ص138-139.

إن المذهب الذي ينادي به الغرب يجعل الحقائق وبالتالي القيم نسبية ، فقيمة العمل تقاس بعد ظهور نتيجته ، فمقياس الخير هو الثمرة أو النتيجة الناتجة عن العمل ، وليس مقياسها الوحي أو العقل ، ولذلك فإن دعامتي الإيمان الصحيح عند مفكريهم ومنظريهم هو القوة والبطش الذي يواجه به الناس والحياة ، يقول رائدهم فرنسيس بيكون :"إن المعرفة هي القوة " وعليه فالجاهل القوي هو سيد العلماء وبذلك ترجع البشرية إلى شريعة الغاب الذي لا يعرف إلا الفردية وإشباع الرغبات ، والتي يبطش فيها القوي بالضعيف ، والسيد هو الغالب في حلبة الصراع وكأن قائلهم يقول : افعل ما شئت إذا كان الفعل خيراً لك ولا تتقيد بأي قيود تفرض عليك نمطا معينا من القيم(1).

لكن المسلم لا ينشط لآداء دوره الحقيقي من اعمار الأرض وتنمية الموارد وتنظيم شؤون الحياة والدنيا عامة إذا لم يمر كل ذلك عبر صلته بالله تعالى وعبوديته له فالدنيا مزرعة الآخرة وغض الطرف عن هذه الحقيقة جعل وسيجعل جهود الوعّاظ في بعث الهمة الحضارية كالضرب في حديد بارد.

ومن هنا فإن ميدان منظومة القيم هو الأول في علم العقيدة من حيث وعي مفاهيمها والتأهيل والإستعداد لمن يتعامل معها ، وتوجيهها ورعايتها وقياسها وتقويمها لينشر الضوء في الظلمة من حولنا ...

القيم في المفهوم العقدي هي أعلى درجات التعليم والتعلم وهي أهم وأصعب درجاته تعليماً وتعلماً وقياساً.

(1) انظر : المصدر السابق ، ص 157.

إن العقيدة هي الإعداد المسبق لبناء القيم وهي التصور الواضح لطبيعتها وطرق تعليمها وتنميتها وتعهدها ورعايتها بشكل يضمن بناءها بصورة صحيحة وهادفة ، وهي تحتاج إلى دراسة وصبر ووعي ، وإلى موقعها في سلم عمليات التعليم والتعلم، وإلى إدراك لأفضل وأقصر الطرق في البناء والتثبيت بعيداً عن عبث التغيير.

هذا الوضوح في المتطلبات يجعل النظام العقدي الإسلامي الأكثر تأهيلاً لإنبات ورعاية القيم المرغوب فيها ، فربط القول بالعمل واستشعار الرقابة الربانية على الآداء والمحاسبة الداخلية في الإلتزام بصورة ما هو مطلوب هو الضمان الأول للنجاح.

كيف لا وهو يعتمد على ربانية المصدر والشمول الذي لم يدع جانباً من جوانب الحياة الإنسانية بجميع مجالاتها روحية أو جسمية ، دينية أو دنيوية ، عقلية أو عاطفية ، فردية أو اجتماعية إلا رسم له الطريق الأمثل للسلوك الرفيع، ثم العموم الذي يجعلها مقدورة وميسورة يمارسها الإنسان في اقتدار ورغبة ذاتية نشطة ، العموم الذي يتحقق في الأمة كلها أفراداً وجماعات في جميع الأوضاع والأحوال وفي مختلف الأمكنة والأزمنة بغير تفريق أو تمييز[1]، ثم الملاءمة للفطرة والطبيعة البشرية ويكملها لا بما يضادها ويصدمها بل كما خلقه الله بدوافعه النفسية وميوله الفطرية[2]، ثم الإيجابية المنفتحة على أبواب الخير ، فلا يكفي أن يكون الإنسان خيّراً في نفسه بل يوصل الخير للآخرين ، ومع ذلك يتفاعل مع مجتمعه ويؤثر فيه ويصلح ، يقول صاحب كتاب "نظرات في الثقافة الإسلامية" عن ايجابية هذه القيم :"وإنما هي في صميمها قوة بنّاءة وحركة واضحة إلى النمو المطرد وحالة انطلاق إلى الحركة وتحقيق الذات في هذه الحركة ولكن بأسلوب نظيف . إن العمل والايجابية من صور القيم الإسلامية على عكس

(1) انظر : دراسات في الثقافة الإسلامية ، د. أمين عبد العزيز ، ص350 .

(2) انظر : المدخل لمعرفة الإسلام ، د. يوسف القرضاوي

التبطل والسلبية فإنها صورة غير أخلاقية وهي تنافي غاية الوجود الإنساني[1] " الايجابية التي تشعر الفرد أنه يحمل على عاتقه تبعات انحراف الناس عن الحق وسلوكهم درب الشيطان ، وشعوره بهذه المسؤولية يبعث في نفسه الرضا لأنه يسعد بتخفيف ما كُلف به من النهوض بمسؤولية الخلافة في الأرض، وهذه الإيجابية في مداها الأرحب تطبع المؤمن في أسلوب دعوته بطابع الإحسان والإخلاص والثبات على المبدأ والصبر على الأذى ، لأن الأساس الذي يرتكز عليه ، هو التحرر من المطامع وإغرائها ، وتقبل المغارم مهما كانت ثقيلة ، وقتل آفتي الطمع والخوف صفة متلازمة مع منطق الدعوة في التجرد والثبات[2] ، ثم التوازن في الثقة بين الدنيا والآخرة ، فهذه مزرعة لتلك فلا إفراط ولا تفريط حيث تلتقي الفردية والجماعية في صورة رائعة ، تتوازن فيها حرية الفرد ومصلحة الجماعة ، وتتكافأ فيها الحقوق والواجبات وتتوزع بالعدل[3]، ثم الواقعية فالقيم ليست ضرباً من المثاليات وإنما هي ممارسات راقية تتحقق في واقع البشر بالفعل وهي مرغوبة لدى الإنسان ذو الطبع السوي والفطرة السليمة كرغبة في المروءة والحياء والاحتشام والإيثار مما يدل على واقعيتها القابلة للاحتمال والتطبيق[4]، الواقعية التي اعترفت بالضعف البشري والدوافع الإنسانية وبالحاجات البشرية المادية كما أقرت التفاوت الفطري والعمل بين الناس ، ولم تفترض في أهل التقوى أن يكونوا براء من كل عيب معصومين من كل ذنب، كذلك راعت

---

(1) د. محفوظ عزام ، ص37 ، الطبعة الأولى ، 1404هـ 1984م.
(2) انظر : لمحات في الثقافة الإسلامية ، الشيخ عمر الخطيب ، ص83-86.
(3) انظر : الخصائص العامة للإسلام ، د.يوسف القرضاوي ، ص140-147.
(4) انظر : دراسات في الثقافة الإسلامية ، د. أمير عبد العزيز ، ص348-349.

الظروف الاستثنائية كالحرب فأباحت ما لا يباح في السلم[1]، كل ذلك يؤكد واقعية القيم الإسلامية واستمراريتها على مرور الزمن.

هذا هو منهجنا العقدي وعلاقته بالقيم كما نراه من حيث أهدافه ومحتواه ووسائله القابلة للاستمرار ليتوافق مع متطلبات التغيير المتجدد في المجتمع.

ومن هنا يمكن ربط الواقع وفق هذه القناعات الدينية التي هي الفاصل بين الخير والشر، ولهذا كان الدفاع عن العقيدة دائماً يأخذ مأخذ الدفاع عن الخير ، بينما كان الشر بكل تفاصيله يرمز إلى الكفر بكل انهياراته وأغلاله ، وهو ما صبغ المجتمع الغربي في الآونة الأخيرة بالانحلال ، لأنه فقد قيمته ، وبالتالي أيديولوجية المادة هي التي طغت على كل شيء آخر حيث أخرج القيم عن حتميتها واستبدلها بالبدائل المادية كما سبق تفصيله .

وإذا أردنا بناء شخصيات مسلمة تعتز بقيمها فإن علينا أن نوفر الشروط النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي تساعد على ذلك فتلبية الحاجات شرط للنجاح ، والذي يتضح من خلال الآتي :

أولاً: تعزيز ثقة المسلم الناشئ في نفسه وكرامته ، وأن كرامته ليست أهون من كرامة الآخرين وهذا ما يركز عليه الأعداء لتعزيز الشعور بالدونية وأن المسلم لا يصلح لشيء خاصة ما يتعلق بأفعال التخطيط والتنظيم ، وعليه فإن جعل المسلم يحس بقدرته وكرامته يُعَد مدخلاً ضرورياً لبناء قيمه الفاضلة ، وعلى الحكومات أن تسن من التشريعات ، وعلى الشعوب أن توجد من الأدبيات والآليات ما يحقق ذلك ويؤكده بعيداً عن التأثيرات الغربية لأن الدراسات الاجتماعية التربوية في عالمنا العربي على

(1) انظر : الخصائص العامة للإسلام ، د.يوسف القرضاوي ، ص165-168.

وجه الخصوص على كثرتها إلا أنها في أغلبها غير موصولةوغير ذاتية بالمفهوم الإسلامي وهي متأثرة أو موجهه من الثقافة الغربية .

ثانيا: أن كثيراً من الأضرار التي لحقت منظومة القيم لدينا ، تنبع من حرمان المسلم من المشاركة الإيجابية الفعالة في مختلف شؤون الحياة، فأصيبت نتيجة لذلك بعض قيمنا بالتأسن والجمود . إن في كثير من شبابنا طاقات هائلة وخيرة، وهي تبحث دائماً عن الإطار الذي تبدع فيه وتعطي وإذا لم يتهيأ له ذلك فإن تصريف تلك الطاقات في غير الوجه المشروع والمفيد يبقى هو البديل الأسهل .

ثالثاً: إن طبيعة المنظومة القيمية تميل إلى الرمزية ، وهي تقوم على قاعدة من التوازنات المعقدة ، وهذا وذاك يسمحان بتأويل القيم وتجاوزها على نحو يلغيها في حياة كثير من الناس ، ومن ثم فإن أخلاق الفرد المسلم يمكن أن تصاب بالعطب بل بالانهيار إذا توفرت ظروف سيئة تجعل التمسك بالفضائل مجلبة للمصاعب والمشكلات ، أو تجعل صاحبها يشعر بأنه ضحية القيم الحميدة التي يتحلى بها.

وهذا يعني أن بناء منظومة القيم على الوجه المطلوب لا يمكن أن يتم في فراغ ، ولا من خلال الحث والتحفيز ، إذا لم يساند ذلك ظروف مواتيه تساعد المسلم على التخلق بالخلق الأسمى ، ولا تجعل موقفه الأخلاقي سبباً في عقوبة المجتمع له.

رابعاً: أن كل الأحاديث والفعاليات صارت تتمحور بصورة أساسية حول الاقتصاد والتنمية وتداعياتها وما يرتبط بها وتجاوز تلك الأطر والبرامج التي تستهدف تأصيل العقيدة الصحيحة والقيم الكريمة في المجتمع ورفدها بما يقويها في الواقع العملي ، وإيجاد بنود للاتفاق على البرامج والأنشطة التي تحارب العقيدة والقيم والعادات الذميمة وإيجاد آليات جديدة لتقدير المواقف الأخلاقية التي يقفها بعض الأشخاص ،

حتى نغرس في حس الأجيال المقبلة ملامح الأخلاق المدنية الطيبة التي يسعى المجتمع إلى ترسيخها وتوكيدها .

خامساً: لا سيادة للقيم بدون تضحية وهذا الفهم للمسؤولية الأخلاقية يلقي على كل واحد منا جزءاً من تبعة كل تدهور أخلاقي يمكن أن يصيب أخواننا وأبناءنا ، كما أنه في الوقت ذاته يمنح الفرصة الذهبية لكل واحد منا كي يقدم شيئاً في سبيل جعل واقعنا استجابة حية لمعتقداتنا وأخلاقنا ، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن هذا النوع من العمل صعب وبطئ حيث أن هناك اتفاقا بين المفكرين في عملية التغيير الإجتماعي أنها لا تحدث فجأة ، وإنما بالتدرج ، وأن هناك معطيات تكون مقدمات لهذا التغيير ، وأن التغير لا يرد على صورة واحدة في المجتمعات كافة [1].

سادساً: تاريخنا ثري جداً بالمواقف الأخلاقية النبيلة ، ومن واجبنا أن نبرز تلك الصور ، وبإمكان الأدباء والكتاب وأصحاب دور النشر والمكتبات الصوتية ووسائل الإعلام المختلفة أن ينهضوا بهذا العمل الجليل عوضاً عن الأعمال الكثيرة التي تخرب أخلاق الأجيال نظراً لمنطلقاتها الغربية ، تقول د. علياء شكري[2]: إن الدراسات في التغير الإجتماعي التي سادت في إعلامنا العربي تحت عنوان التحديث والحداثة صورة مكررة لمناهج وأساليب ومنطلقات الفكر الغربي حيث تاهت عملية الإصلاح التي مارستها شعوبنا لعبور فجوة التخلف .

سابعاً: مهما بذلت الأمة من جهود في ترسيخ القيم والمثل العليا في حياتها فسيظل في الناس من يميل لاعتبارات شتى إلى أن يكون نموذجاً سيئاً ولبنة رخوة في البناء

(1) التغيير الإجتماعي بين النظرية والتطبيق ، د. محمد الدقس ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن ، ص2.

(2) بعض ملامح الغيير الإحتماعي والثقافي ، درات الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص125.

الإجتماعي ومن ثم فإن تماسك المجتمع والحرص على طهارته هو الضمان الحقيقي لمحاصرة الشر ورموزه ، ثم إن الصلاح إذا كان غالباً فإن عافية المجتمع تسمح له بتحمل آثار الانحرافات الجزئية التي تقع من بعض أفراده [1].

(1) انظر : من أجل انطلاقة حضارية شاملة ، د. عبد الكريم بكار ، ص 142.

التوصيات

وبعد:

ما أردت بهذه الصفحات تكثيف المعاناه ، ولا تصعيد الآلام ولكني تمنيت أن تكون إرهاصاً يؤكد انتقال الأمة من مرحلة الإنخذال والإنهزام النفسي إلى مرحلة اليقظة في الشعور والفكر .

إن أكثر ما نطلبه هو بلورة الحقائق وإيصالها بكل السبل ، ومن هنا تأتي التوصيات التي خرجنا بها من هذا البحث :

أولاً: التوقف عن توجيه التهم لأنفسنا بالمبالغة في النقد الذاتي الذي تحول إلى تمثيل دور الضحية، هذا الدور الذي مازال يتبناه البعض للتضخيم والترويج فلا بد من التخلي عنه وعن خصومة الذات البغيضة ضد أنفسنا وضد حضارتنا وقيمنا وإن كان الأمر خطيراً فعلاً.

ثانياً: التوقف عن توجيه اللوم لبعضنا البعض ، والاتجاه إلى تطوير النطق من موقف نظري مشلول إلى موقف عملي منطقي يحفل بالدلالات والشواهد ، ويطوف العالم ليستقر في وعي الرأي العام العالمي ووعي المثقفين و المهيمنين على وسائل الإعلام في العالم بعد أن يكون قد استقر في وعينا .

ثالثاً: التركيز على العمل والفعل وترك الدوران حول ردود الفعل حتى لا تسقط قيمنا الأساسية، والمطلوب أن يكون فكرنا عملياً ينطلق إلى مفاهيم كل إنسان في العالم، خاصة وأننا ننطلق في قضايانا من أصول شرعية وثوابت دينية كشفت لنا خطورة ما يحدث من مكر وحقد تمارسه الصهيونية العالمية بدعم من القوى العالمية، وهي خطورة تساندها نظراتنا الذاتية والفردية بكل أسف .

رابعاً: مسارعة الأقطار العربية والإسلامية بمؤسساتها الثقافية والتربوية والعلمية وبكل منظريها ومخططيها ومفكريها وأصحاب القرار بها إلى الاشتراك في وضع خطة إستراتيجية بمستويات متعددة على أن يتم تطبيقها بمراحل مختلفة والبعد عن القفز فوق القيم وإهدار المبادئ بل وجوب توظيفها والانطلاق من عندها لتطبيق رؤى واضحة موحدة تعيد الثقة إلى نفسية الإنسان المسلم وإلى مفاهيمه، وإقناع الرأي العام العالمي ومفكريه وهيئاته . مع التخلص من التبعية لليسار أو لليمين وذلك بتكوين قناعات من داخل مجتمعاتنا تعطينا القدرة على مقاومة ما طرأ علينا بل ما اقتحمنا وخلخلنا من الداخل من عمق المبادئ والقيم والروح والفكر وإحلال الثوابت القائمة على المنطق والحق بمعنى أن يكون نقداً ذاتياً لا يخضع لضغوط خارجية تفرض من منظور غربي غرق في الماديات وانحاز إلى فكر الحرية غير المسؤلة والتي تعتبر أعلى قيمة لديه ، فلا بد أن يكون نقداً ذاتياً في ضوء القيم التي أرادها الإسلام للإنسان لا القيم التي يريدها النظام الدولي الجديد .

خامساً: الحوار ثم الحوار الذي يعني تفتيت المتناقضات واستخدام مباشرة النضج لإيجاد الحلول من داخل القيم إلى هموم الإنسان وطموحاته وما يعيشه من فصام بين الواقع والنظريات الغير قادرة على التطبيق ، فلا بد من التوفيق بين النظم التي يخضع لها الناس والتي هي استجابة وتجسيد للقيم التي يؤمنون بها ، وبين سلوكياتهم العامة التي لابد أن تنسجم مع النظم التي هي وسيلة لتنظيم الشأن العام ، فلا بد من الانسجام بين الأنساق الثلاثة : القيم ، والنظم والسلوكيات اليومية ، بمعنى أن لا نتحدث عن القيم بمعزل عن الأفعال والخبرات التي نعيش ونتعامل معها أو بمعزل عن السياق الحياتي الذي نعيشه ونعمل فيه .

وفي هذا تركيز على الإنسان الصالح وليس المواطن الصالح ، إلا إذا كانت الأخيرة غير متناقضة مع الأولى .

سادساً: لما كانت منافذ التأثير الأقوى هي التعليم والإعلام، فلا بد من:

1– إعادة النظر في مناهج التربية والتعليم (كمحضن للقيم) لإعادة التعليم إلى حضن التربية كجزء منها وكوسيلة لتحقيق عبادة الله في الأرض وخلافته فيها نظراً لازدواجية التعليم في العالم العربي والإسلامي ، وهذا يستدعي إعادة الصياغة من أجل نظام تعليمي موحد ينبثق عن أحسن ما في القديم وأفضل ما في الحديث.

2– ضرورة إعادة النظر في البرامج الإعلامية خاصة في بعض البلدان الإسلامية المستهدفة والمطالبة بضرورة احترام المواثيق الدولية في صياغة القوانين الأخلاقية التي تشمل الأسرة والصحة وغير ذلك مما له صله مباشرة بمنظومة القيم.

سابعا: لابد من التخطيط من قبل الذين يملكون الرؤى الشاملة من ذوي الثقافة الموسوعية والعلماء والمفكرين وخبراء الإستراتيجية الإسلامية لوضع خطة عامة ومتعددة المستويات والمجالات ذات رؤى واضحة تبني النموذج التربوي الأخلاقي المدعوم بالقيم والذي يتناسب مع عقيدتنا وإمكاناتنا وتطلعاتنا وحاجاتنا المختلفة في إطار رؤية شاملة للكون ، وفي إطار رؤية لا تفصل بين الدنيا والآخرة ولا تجعل العلاقة بيننا وبين قيمنا الأصيلة علاقة عداء .

ثامناً: لابد من دراسات معمقة ومكثفة حول القيم بالرغم من مشقتها حيث أن القيم التي نؤمن بها ومنهجية التفكير التي يستخدمها كل واحد منا ، وهي بالطبع متفاوتة ستلوّن رؤيتنا للماضي وتجعل الخلاف في فهمه قريباً من الخلاف في فهم الواقع إلا أنه مهما كانت النتائج فإن المردود سيكون في منتهى النفع والفائدة .

تاسعاً: هذه الدراسات لابد أن تخضع لمنهجية البحث وأطره وأهدافه في ظل إدارات الدراسات العليا في الجامعات العربية كما يمكن أن تعقد لها الندوات والمؤتمرات للتشاور وتجنيد طلبة الدراسات العليا لخدمة هذه الأهداف ، ولعل ما يدور اليوم هو خطوة جيدة تحتاج إلى متابعة جادة، والعمل على مشقته هو ضرورة هذه المرحلة ، إلا أننا إذا لم نستطع أن نتقارب في فهم الحاضر ، وإذا لم يتوحد أو يتقارب تقويمنا للماضي والحاضر فلن نستطيع أن نخطط للمستقبل ولا أن ننجز ما نطمح إليه .

وأخيراً: إن الشعور بالفخر والاعتزاز بأمجاد السلف لا يمكن أن يظل شيئاً ثابتاً ومحفزاً ما لم نصقله بالعمل الجاد الحضاري الناجح الذي نثبت من خلاله استحقاقنا لخلافة السلف بعد إدراكنا الواعي لواقعنا وواقع الآخرين والخروج من مرحلة الذهول والحيرة والانبهار بعد التعرف على رصيدنا من التراث ومحاولاتنا لاستخراج خير ما فيه من قيم ومواقف بغية صد الهجمة الشرسة التي تتعرض لها عقيدتنا وأخلاقنا .

وبعد،،

أعتقد أن أمثال هذه الموضوعات ستبقى بوابات مفتوحة تدعو المفكرين للعبور منها إلى أرضية واسعة تحدد عليها معالم أمة جديدة ، واضحة الأهداف محددة الرؤية تقود العالم ، فهذا هو سبب وجودها .

الباحثة:

أحلام محمد سعيد باحمدان

أستاذة مشاركة بكلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى

قائمة المراجع

- اتجاهات النهضة والتغيير في العالم الإسلامي ، عباس حسني ، دار نشر الثقافة ، القاهرة .
- الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، د.مقداد يالجن ، الطبعة الأولى ، 1392هـ ، مكتبة الإنجلو المصرية .
- أثر الاستغراب في التربية والتعليم ، د. عبد الله الشارف ، الطبعة الثالثة ، 1983م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- الأسرة المسلمة في معركة القيم ، محمد خروبات ، Islam online.net .
- الإسلام في مواجهة الأيدلوجيات المعاصرة ، عبد العظيم المطعنى ، الطبعة الأولى ، 1407هـ ، مطبعة السعادة ، القاهرة.
- أضواء على الثقافة الإسلامية ، د.نادية شريف العمري ، الطبعة الثانية ،1404هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- إغتيال العقل ، د.برهان غليون ، الطبعة الثانية ، 1987م ، دار التنوير ،بيروت .
- بعض ملامح التغيير الإجتماعي والثقافي ، د. علياء شكري ، دار الثقافة للنشر ، القاهرة .
- التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ، الطبعة الخامسة، 1403هـ ، دار الشروق ، القاهرة .
- تعليم القيم فريضة غائبة ، مجلة المسلم المعاصر ، ع 65-66، لعام 1991م .

- التغيير الإجتماعي بين النظرية والتطبيق ، د. محمد الدقس ، 1987م، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن .
- الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية ، د. عابد السفياني ، الطبعة الأولى ، 1408هـ ، مكتبة المنار ، جدة .
- الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادة وقسماً علمياً ، عبد الله إبراهيم الطريقي وآخرون ، الطبعة الأولى ، 1397هـ .
- الخصائص العامة للإسلام ، د. يوسف القرضاوي ، الطبعة الثالثة، 1405هـ ، مكتبة وهبة ، القاهرة .
- دراسات في التغيير الإجتماعي ، د. محمد الجوهري ورفاقه ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة .
- دراسات في الثقافة الإسلامية ، د. أمير عبد العزيز ، 1399هـ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- دراسة في البناء الحضاري ، د. محمود محمد سفر ، كتاب الأمة ، ع 21 ، 1409هـ .
- دور القيم في التغيير الإجتماعي ، د. عبد اللطيف عربيات ، الطبعة الأولى ، 1425هـ ، جمعية العفاف الخيرية ، عمان – الأردن .
- روح الجماعات ، غوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعيتر ، الطبعة الأولى ، 1415هـ ، دار البينة للنشر والتوزيع .
- السياسة التعليمية بالمغرب ورهانات المستقبل ، د. لحسن مادي ، ص81، www.arabrenewal.com .

- الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، أنور الجندي ، المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان .
- الشرائع والأخلاق بين الحضارة والإنحطاط ، محمد نجاح شبيب ، دار الفكر ، دمشق – سوريا .
- العقل والمادة ، برتراند رسل ، ترجمة : أحمد إبراهيم الشريف ، 1957م ، القاهرة .
- العلمانية ، نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، سفر الحوالي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .
- علم النفس الإجتماعي ، حامد زهران ، الطبعة الأولى ، 1977م ، عالم الكتب، القاهرة .
- العلم والدين في الفلسفة المعاصرة ، أميل بوتروا ، ترجمة : أحمد فؤاد الأهداني، الهيئة المصرية للكتاب ، 1973م.
- الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي ، محمد البهي ، الطبعة التاسعة، 1401هـ ، دار غريب للطباعة ، القاهرة .
- فلسفة التربية الإسلامية، د. ماجد عرسان الكيلاني ، مؤسسة الريان ، بيروت، 1419هـ.
- القاموس المحيط، الفيروزبادي ، دار الجيل، بيروت .
- قصة الفلسفة، ول ديوانت، ترجمة : فتح الله المشعشع، الطبعة السادسة، مكتبة المعارف، بيروت .

- القيم الأخلاقية ، د. سامية عبد الرحمن عبد الرحيم ، الطبعة الأولى ، 1992م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
- القيم الإسلامية والتربية ، د. خليل مصطفى أبو العينين ، 1979م ، دار النهضة العربية ، بيروت .
- القيم بين الإسلام والغرب ، د. مانع المانع ، الطبعة الأولى، 1426هـ ، دار الفضيلة ، الرياض .
- القيم والعادات الإجتماعية ، فوزي دياب ، مكتبة الأسرة ، القاهرة، 2003م .
- كيف نفكر استراتيجياً ، فوزي محمد طايل ، مركز الإعلام العربي، القاهرة ، 1997م .
- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت .
- لمحات في الثقافة الإسلامية ، عمر عوده الخطيب ، الطبعة الثامنة ، 1404هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- من أجل انطلاقة حضارية شاملة ، د. عبد الكريم بكار ، الطبعة الأولى ، 1415هـ ، دار المسلم ، الرياض .
- المدخل إلى التطور الإسلامي في الإنسان والحياة ، د. عابد توفيق الهاشمي ، الطبعة الأولى ، 1402هـ ، دار الفرقان ، عمان .
- المدخل إلى الثقافة الإسلامية ، د. محمد رشاد سالم ، الطبعة السادسة ، دار القلم ، الكويت ، 1402هـ .
- مستقبل التربية على القيم، خالد الصمدي ، Islam online.com.

- مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان، دار العلم .
- مقدمة في الأخلاق ، محمود حمدي زقزوق ، الطبعة الرابعة ، 1993م، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الطبعة الأولى، 1409هـ .
- نظرات في الثقافة الإسلامية ، محفوظ عزام ، الطبعة الأولى ، 1404هـ ، دار اللواء ، الرياض .

فهرس الموضوعات